اسم الأستاذة: سميرة رجم
المقياس: لسانيات النص
السنة: الثالثة
التخصص: لسانيات عامة
النوع: تطبيق
ف: 07 -11.

خامسا- المحادثة و تحليلها:

تعدّ المحادثة من المباحث التي يدرسها علم النصّ و يهتمّ بتحليلها، و فيما يلي شرح لمفهومها و للاتجاهات التي اهتمت بتحليلها:

1- مفهوم المحادثة: [1]

2- الأمثلة:

- إذ أراد "أ" إيقاف سيارته في موقف خال وكان "ب" مساعدا له في ذلك حيث يعطيه تعليمات مثل: "أدر إلى اليمين" "لا تتحرّك بسرعة" "الآن ارجع متمهلا" " مازال المتسع نصف متر"، فإنّ "أ" و"ب" يتفاعلان دون شكّ، وتتبع أقوال "أ" اللغوية نشاطا يوجهها، وعندئذ يحافظ "أ" و"ب" لوقت محدّد على ملاحظة في الرّؤية والإدراك لكنّ السّائد في هذه الحال هي الأحداث غير اللّغويّة.
- يخاطب "أ" "ب" لعدة دقائق دون أن يتلفّظ "ب" مطلقا بكلمة، هنا أيضا يحسب مشتركا في الحدث، بينما يقوم النصّ النّاشئ في ذلك فقط من خلال النّشاطات اللّغويّة لدى "أ".

إن كلا المثالين لا يمكن أن يسمى محادثة؛ فالمثال الأوّل تغلب عليه الأفعال في حين أنّ الكلام كان من طرف واحد وهو"ب" الذي يوجّه "أ" بعبارات لغويّة، وعلى الرّغم من أنّ"أ" يتفاعل معه، ولكنّ تفاعله كان بأفعال و حركات و ليس تفاعلا لغويّا. و المثال الثاني أيضا لا يعدّ محادثة لأنّ الكلام كان من طرف واحد هو "أ" دون أن يبادله "ب" الحديث وكان مستمعا سلبيا فقط.

---

[1]- فولفجانج هينه من وديترفيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، 1419هـ- 1999م.ص 252 و ما بعدها.

وبناء عليه يمكن أن نتساءل: «ما هي المحادثة: يمكن أن يعطي كأوّل تعريف اسمي تقريبيّ: المحادثة هي محصلة النشاط اللغوي لدى مشتركين اثنين في الحدث على الأقل (شركاء التفاعل). بذلك يفرق على أساس عدد المشتركين المتكلم/السامع، أي شركاء التفاعل منذ البداية بين المحادثة و النص، الذي يولد لدى واحد. حتى وإن كان منتج النص أو المتكلم جماعيا». ويشير هذا القول إلى أنّ الفرق بين النصّ والمحادثة هو كون النصّ كلام من طرف واحد وإن وجد المتلقي، بينما المحادثة تستدعي طرفين يتفاعلان ويتبادلان الحديث.

وعند الحديث عن المحادثة يجب أن يتوفر فيها شروط أساسيّة هي:

- وجود مشتركان في التفاعل على الأقل.
- تبادل إلزاميّ للكلام.
- وجود موضوع للمحادثة في بؤرة الاهتمام في الوعي الإدراكيّ للمشتركين في الحدث.
- وفي كثير من تعريفات المحادثة يشار إلى أنها: «هي واقعة الاتصال الأساسية في الاتصال المباشر»، حيث يفهم ضمن كلمة مباشر:
- الفورية في الاتصال وجها لوجه، و بذلك:
- الاحتفاظ بهويّة الإطار الزّماني و المكاني.

ولا تمثّل وحدة المكان ولا الزّمان، وكذلك الاتصال وجها لوجه نتيجة لذلك شرطا يمكن الاستغناء عنه، إذ يمكن للوسائل التقنية مثل التلفزيون والهاتف وما عداهما أن تقوم بمهمّة بديلة.

وعليه يفهم ضمن المحادثة كل نتائج النّشاط اللّغويّ الّتي تحقّق المعايير (أ)-(ه)، أي كل المحادثات ذات اللّقاء وجها لوجه، وأيضا المحادثات الهاتفية، و المناقشات التلفزيونية و غيرها.

3- تحليل المحادثة:[2]

يهتم المنهج الشّكليّ الذي يتزعّمه ساكس (sacks) بتحليل البنية الشكلية لمجرى المحادثة (تبادل المتحدّثين و التصحيح)، ووصفت بشكل جوهريّ تلك المناهج التي اكتسبها شركاء التفاعل في أثناء عملية التكييف الاجتماعيّ وتشكيل الأهداف لتكوين المحادثة، وقد وجه اهتمام خاص في هذا المدخل البحثي أيضا إلى

[2]- فولفجانجهينه من وديترفيهفيجر: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، مصر، ط1،2004م. ص84-85.

الأبنية الجوهرية التي تنظّم المحادثات. مثل أبنية افتتاح المحادثة و اختتامها وغيرها.

إنّ المداخل البحثية الأنثروبولوجية- الإثنولوجية المسماة (إثنوجرافيا الكلام) التي أسّسها هايمز (Hymes) عنيت في المقام الأوّل بوظائف الاستعمال التي ينبغي أن يزيح تحليل منظّم لأوجه الرّبط السّتار عنها، تلك التي توجد بين اللّغة والسّياقات الاجتماعيّة والثّقافيّة، وقد بحث هذا المدخل، بشكل جوهري مجريات الاتصال في سياقات اجتماعية ثقافية متباينة أو جماعات إنسانية.

ويقوم رأي علم الاجتماع الإدراكي أو التّفسيري لدى سيكوريل(cicourel) وآخرون، على افتراض أنّ المناهج التي يستخدمها شركاء التّفاعل لتنظيم المحادثات تمثّل صيغة خاصّة للمعرفة الاجتماعيّة. صيغة ترتبط بأنظمة معرفيّة أخرى، ومن هنا فإنّ مهمّة تحليل المحادثة عند "سيكوريل" يجب أن تكون فحص عمليّات إنتاج المحادثات وتفسيرها باستفاضة بالنّظر إلى هذه الأنظمة المعرفيّة.

سادسا- معايير النصيّة:

يقول "روبيرت دي بوجراند":[3]

[3] - النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1318هـ-1998م. ص103-105.

٤ ـ ١١ ـ وأنا اقترح المعايير التالية لجعل النصية TEXTUALITY أساسا مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها.

٤ ـ ١١ ـ السبكCOHESION وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية SURFACE على صورة وقائع يؤدى السابق منها إلى اللاحق pro-gressive occurrance بحيث يتحقق لها الترابط الرصفى SEQUENTIAL CONNECTIVITY وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط. ووسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات phrases والتراكيب Clauses والجمل (انظر الفصل الثانى) وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية pro- forms والأدوات والإحالة المشتركة Co - reference والحذف والروابط junctions (انظر الفصل الخامس).

٤-١١ ـ ٢ الالتحام COHERENCE وهو يتطلب من الاجراءات ما تتنشط به عناصر المعرفة لايجاد الترابط المفهومى CONCEPTUAL CONNECTIV-ITY واسترجاعه وتشتمل وسائل الالتحام على (١) العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص class inclusion ، (٢) معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، (٣) السعى إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التى يعرضها النص Text PRESENTED KNOWLEDGE مع المعرفة السابقة بالعالم PRIOR KNOWLEDGE OF THE WORLD (قارن: الفصل السابع ـ ٣ ـ ٢٩ وما بعدها).

٤ ـ ١١- ٣ ـ القصد INTENTIONALITY: وهو يتضمن موقف منشىء النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسَّبك والالتحام وأن مثل هذا النص وسيلة INSTRUMENT من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها (قارن: الفصل الرابع ـ ٤). وهناك مدى متغير للتغاضى TOLERANCE فى مجال القصد، حيث يظل القصد قائما من الناحية العملية حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك والالتحام، ومع عدم

تأدية التخطيط إلى الغاية المرجوة. وهذا التغاضي عامل من عوامل ضبط النظام systemic regulation (الفصل الأول ـ ٤ ـ ٣ والتي بعدها) يتوسط بين المرتكزات strategies اللغوية في جملتها والمطالب السائدة للموقف.

٤ ـ ١١ ـ ٤ ـ القبول ACCEPTABILITY: وهو يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام. وللقبول أيضا مدى من التغاضي TOLERANCE في حالات تؤدي فيها المواقف إلى ارتباك، أو حيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل والمنتج (قارن: الفصل الثاني ـ ٢- ٣٧) والتي بعدها).

٤ ـ ١١ ٥ ـ رعاية الموقف SITUATIONALITY: وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه. ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره (قارن: الفصل السادس ـ ٤ ـ ٢ وما بعدها). وقد لايوجد إلا القليل من الوساطة في عناصر الموقف كما في حالة الاتصال بالمواجهة في شأن أمور تخضع للإدراك المباشر، وربما توجد وساطة جوهرية كما في قراءة نص قديم ذي طبيعة أدبية يدور حول أمور تنتمي الى عالم آخر (مثلا: جلجاميش أو الأوديسا). ان مدى رعاية الموقف يشير دائما إلى دور طرفي الاتصال على الأقل، ولكنْ قد لا يدخل هذان الطرفان الى بؤرة الانتباه بوصفهما شخصين.

٤ ـ ١١ ٦ ـ التناص INTERTEXTUALITY: وهو يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة. فالجواب في المحادثة (قارن: الفصل الثامن ـ ١) أو أي ملخص يذكّر بنص ما بعد قراءته مباشرة (قارن: الفصل السابع ـ ٣) يمثلان تكامل النصوص بلا واسطة. وتقوم الوساطة بصورة أوسع عندما تتجه الأجوبة أو النقد إلى نصوص كتبت في أزمنة قديمة. وتكامل النصوص عامل أكبر في مجال تحديد أنواع النصوص TEXT TYPES (قارن الفصل السابع ـ ١) حيث تتشكل التوقعات بالنسبة لطوائف CLASSES كاملة من الوقائع اللغوية.

٤ ـ ١١ ـ ٧ الإعلامية INFORMATIVITY: وهى العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزمUNCERTAINTY فى الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع فى عالم نصّى textual فى مقابلة البدائل الممكنة. فالاعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال. ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها فى مقابل عدم الوقائع non - occurvences (قارن: الفصل الرابع ـ ١ ـ ٨). وسوف أناقش فى الفصل الرابع بقاء درجة صغرى من الإعلامية فى المحادثة بواسطة تنظيم الدرجات القصوى منها.

يقترح "دي بوجراند" ستة معايير للنصيّة، يمكن من خلال هذه المعايير تمييز النصّ من اللّانص؛ وبمعنى آخر فإنّه يجب أن تتوفّر معايير النصيّة في أيّ قول منطوق أو مكتوب لكي يكون نصّا، و هذه المعايير هي:

1- السّبك (الاتساق) (Cohesion)
2- الالتحام (الانسجام) (Coherence)
3- القصد (Intentionality)
4- القبول (المقبولية) (Acceptability)
5- رعاية الموقف (السّياق) (Situationality)
6- التّناص (intertextuality)
7- الإعلامية (Informativity)

فالسّبك، الذي يطلق عليه أيضا الاتساق والرّبط، هو التّرابط النّحويّ بين الجمل، والتسلسل بينها على المستوى الأفقيّ، ويتمّ عن طريق مجموعة من الآليات منها: التّكرار والإحالة، والحذف، والرّبط.

أمّا الانسجام فهو التّرابط المفهوميّ بين أجزاء النصّ؛ أي أنّه الترابط الحاصل بين معاني النصّ، وهناك وسائل عديدة يمكن الاستعانة بها لتحقيق الانسجام منها: العناصر المنطقية كالعموم و الخصوص والسببيّة وأيضا المعرفة الخلفية و علاقتها مع المعلومات التي يحملها النصّ، و أيضا البنية الكبرى و موضوع الخطاب و التّغريض.

في حين أنّ القصد يتعلّق بالمرسل؛ فمنتج النصّ لديه قصد معيّن من وراء إنتاجه لنصّ منسجم ومتماسك والوصول إلى غاية محدّدة، فمثلا الخطاب الإشهاريّ يكون القصد منه إقناع المستهلك بشراء المنتوج، في حين أنّ القصد من نصّ ينتجه أستاذ يشرح فيه الدّرس هو توصيل المعلومة إلى المتعلّم وترسيخها في ذهنه، و عليه فإنّه لا يخلو أيّ نصّ من قصد معيّن كان سبب إنتاجه.

ومعنى هذا أنّ للقصد تأثيرا في بنية النصّ و أسلوبه؛ لأنّ الكاتب يختار لنصّه بنية معيّنه ويوظّف وسائل لغويّة ملائمة لها من أجل تحقيق قصده[4].

ويتعلّق عنصر القبول بالمتلقّي، حيث يتحقّق معيار المقبوليّة عندما يقبل المتلقّي النصّ من حيث انسجامه و اتّساقه و أيضا ملاءمته للمقام.

وأمّا السّياق أو المقام (رعاية الموقف) فيعدّ من الآليات التّداوليّة التي يجب أن يراعيها الكاتب عند إنتاج نصّه، فأيّ نصّ مبتور عن سياقه الذي أنتج فيه لا يعدّ نصّا، ويمثّل المقام كلّ الظروف الخارجيّة التي تحيط بالنصّ لحظة إنتاجه، منها: طرفي المحادثة وهما المرسل والمتلقّي، والزمان والمكان والظروف الاجتماعية والثّقافية والسّياسية...إلخ. وفي هذا الشّأن يقول محمد الأخضر الصبيحي: «يمثل المقام إذا أحد المقومات الفاعلة في اتساق النص وخاصة من الناحية الدّلالية، وعليه فإن نصّية الخطاب لا تكتمل ولا تستقيم إلاّ إذا راعى صاحبه، في إنجازه، الظروف المحيطة التي سيظهر فيها النصّ. لذا فإن خطابا يبتعد كثيراً عن التقاليد الأدبية السائدة، وعن الأعراف الاجتماعية المتعارف عليها، لن يلاقي قبولاً حسنا»[5]. وهكذا نستخلص أنّ للمقام أهميّة بالغة في الاتساق الدّلاليّ للنصّ، ويسهم في زيادة مقبوليّة النصّ.

ويجب أن يكون هناك نوع من التناص بين النصّ المنتج ونصوص سابقة، سواء أكان ذلك من دون وساطة كما في المحادثة المباشرة عند ذكر ملخّص لنصّ تمّ قراءته مباشرة، أو بوساطة عندما يتمّ بنصوص قرأت أو كتبت في زمن مضى.

وآخر معيار من معايير النصيّة التي ذكرها "دي بوجراند" هو الإعلاميّة، وترتبط إعلاميّة النصّ بمدى كون المعلومات الواردة في النصّ معتادة في أسلوبها

---

[4] - محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص. ص97.

[5] - المرجع نفسه. ص98.

وطريقة عرضها وتقديمها؛ فكلّما كان أسلوب الكاتب مغايرا لما هو معتاد عليه زادت إعلاميّة النصّ، و كلّما كانت أقرب إلى اللغة العاديّة انخفضت إعلاميته.

وفي ختام حديثنا عن معايير النصيّة يمكن القول إنّ هذه المعايير لم تتوقف عند حدود البنية النحوية للنص، بل تجاوزتها إلى الاهتمام بالدّلالة و العوامل التّداوليّة التي تتدخّل في إنتاجه، وعليه فإنّ أيّ نصّ مكتمل يجب أن يقوم على عدّة مقوّمات منها ما هو نحويّ، ومنها ما هو دلاليّ ومنها ما هو تداوليّ.

سابعا- الاتساق:

من أهمّ آليات الاتساق ما يأتي:

1- التّكرار: [6](Recurrence)

يعرّف التّكرار بأنّه: «شكل من أشكال التماسك المعجمي التي تتطلب إعادة عنصر معجمي أو وجود مرادف له أو شبه مرادف، و يطلق البعض على هذه الوسيلة "الإحالة التكرارية"، وتتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد»

وتختلف صور التّكرار وتنقسم إلى عدّة أنواع سنوضّحها فيما يأتي:

- الأمثلة:

أ- تقول نازك الملائكة في قصيدة "أغنية للإنسان":

في عميق الظلام زمجرت الأمطار في ثورة وجن الوجود
طاش عصف الرياح و التهب البرق ثارت على السكون الرعود
ثورة ثورة تمزق قلب الليل والصمت بالصدى بالبريق
ثورة تحت عصفها رقد الكون عميق الأسى كجرح عميق
تتلوى الأشجار ضارعة و المطر البارد الشتائي يهمى

ب- يقول أبو نواس مخاطبا جعفر بن أبي الفضل:

وَأَيُّ فَتىً في الناسِ أَرجــو مَقامَـــــهُ إِذا أَنتَ لَم تَفعَـل وَأَنتَ أَخــو الفَضــلِ
فَقُل لِأَبي العَبّاسِ إِن كُنتُ مُذنِبـاً فَأَنتَ أَحَقُّ النـــاسِ بِالأَخــذِ بِالفَضـــــــلِ
وَلا تَجحَدوا بي وُدَّ عِشرينَ حِجَّــةٍ وَلا تُفسِدوا ما كانَ مِنكُم مِنَ الفَضلِ

ج- جميل=مليح، الحزن=الهموم، مذموم=محتقر، السقم=العلّة، السيف المهنّد.

---

[6] - أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط01، 2001. ص106 وما بعدها.

د- يقول أمل دنقل في قصيدة "صلاة":

يتبدلُ رسمُكَ واسمُكَ. لكن جوهرَكَ الفردَ
لا يتحولُ، الصمتُ وَشْمُكَ. والصَّمْتُ وَسْمُكَ
وَصَمْتٌ – حيثُ التَفَتَّ – يرينُ وَيَسْمُك
والصمتُ بين خيوط يدَيْكَ المُشبَّكَتَيْنِ المُصْمَغَتَيْنِ يَلُفُّ
الفراشةَ.. والعنكبوتْ

1- التكرار المحض أو الكليّ:

نلاحظ على المثالين "أ" و"ب" أنّ هناك تكرار للّفظة نفسها تمثّلت في تكرار الثّورة في المثال "أ" وتكرار لفظة "الفضل" في المثال "ب" وهذا ما يسمى بالتّكرار المحض أو الكليّ وهو تكرار اللّفظة نفسها. و ينقسم هذا النّوع من التّكرار إلى قسمين: الأوّل هو **التّكرار مع وحدة المرجع**؛ أي أن يكون اللّفظ المكرّر يحمل المعنى نفسه في كلّ مرّة يتكرّر فيها، كما وردت لفظة "الثورة" في الأسطر الشعرية "أ" فهي تحمل المعنى نفسه في كل تكرار.

أمّا الثّاني فهو **التّكرار مع اختلاف المرجع** ويتمثّل في تكرار الكلمة مع اختلاف المعنى، ونمثّل له بلفظة "الفضل" في المثال "ب" حيث جاءت في البت الأول بمعنى: الفضل بن الربيع أخو جعفر المخاطَب في القصيدة، وجاءت في البيت الثاني بمعنى السماحة، وفي البيت الثالث تعني ضد النّقص، فقد تعدّد المعنى مع التّكرار الذي صنع ربطا بين الأبيات وأثار انتباه السّامع.

2- التّكرار الجزئي:

ويتمثّل في تكرار عنصر سبق استخدامه ولكن في أشكال وفآت مختلفة، كما في المثال "أ" فقد تكرّرت بعض الألفاظ بأشكال مختلفة مثل: (عميق الظلام، جرح عميق)، (تمزّق قلب الليل، قلب الطّبيعة)، (ثورة، ثارت)، (زمجرت الأمطار، المطر البارد).

3- التّكرار بالمرادف:

وهو تكرار كلمتين مترادفتين في المعنى ومنه ما جاء في المثال "ج".

4- شبه التّكرار

وهذا النوع من التّكرار أقرب إلى التّوهّم؛ حيث يفتقد عناصر التّكرار المحض، ويتحقّق على مستوى التّشكّل الصّوتيّ ليصنع نوعا من التّماسك، ففي المثال "د" نجد أنّ هناك بعض الوحدات الصّوتيّة تتكرّر في المقطع هي:

(رسمك، اسمك، وشمك، يسمك) فيحسّ القارئ أنّ هناك تكرارات كثيرة على الرّغم من أنّ التّكرار الوحيد هو: "الصّمت".

وختاما يمكن القول إنّ التّكرار من أهمّ عوامل السّبك النصّي، فهو يسهم في تأكيد المعنى واتّساق النصّ وجلب انتباه القارئ.

2- الإحالـــــة:[7](Référence)

وهناك نوعين من الإحالة، إحالة نصيّة تكون داخل النّص وقد تكون قبلية أو بعدية، و إحالة مقاميّة خارج النصّ، ونوضح ذلك في الشّكل أسفله:

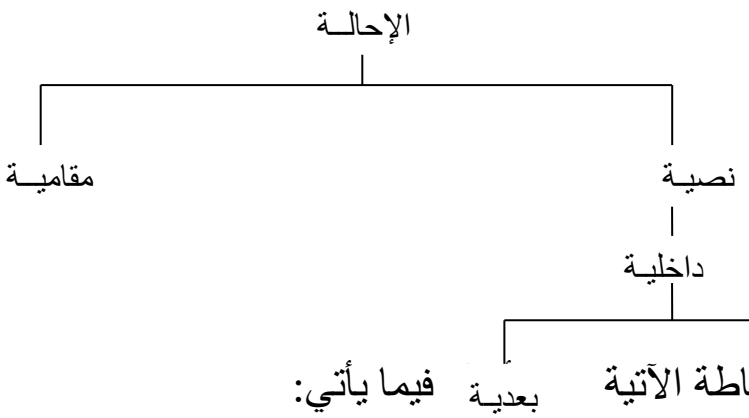

وسيتمّ لاطة الآتية فيما يأتي:

-الأمثلة:

أ-يقول سبحانه وتعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (5) ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (6) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (9)﴾(السجدة/الآيات4-9)

ب- جاء في مستهلّ قصّة الأديب "يوسف شاروني" (الانتقام):

«في الصباح أدرك أن ناقته في حالة هياج. عودها أن تشترك معه في تدخين سجائره.لابد وأن الأمر بدا مجرد صدفة غير مقصودة. ربما وقف ذات يوم يدخن إحدى سجائره بجوارها، تصاعدت لفائف الدخان. عبق الجو بها تسللت إلى خياشيم

[7] - المرجع نفسه. ص116 وما بعدها.

(شرارة). لم ينتبه حمدان إلى مشاركة ناقته له دخان سجائره إلا حين رآها تقترب متهادية منه...».

ج - يقول تعالى:«فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾»(الحاقة/38-52)

1-2- الإحالة النصيّة:

وهي إحالة داخل النصّ و تنقسم إلى قسمين هما:

2-1-1- إحالة قبلية:

وهي تحيل على عنصر سبق التّلفظ به من قبل في النصّ، وتتضّح في المثال "أ"؛ فالمحال عليه في الآية الكريمة هو لفظ الجلالة في أوّلها، وارتبط أوّل النصّ بمجموعة من الآيات تحوي ضمائر بارزة ومستترة مثل: (خلق (هو)، استوى (هو)، دونه، يدبّر(هو)، أحسن(هو)، خلقه، بدأ(هو)، جعل(هو)، سوّاه، نفخ(هو)، واسم الإشارة (ذلك)، والاسم الموصول (الذي أحسن)...إلخ، فكلّ هذه الإحالات تحيل على لفظ الجلالة "الله"، و الآيات على قدر كبير من التّماسك عن طريق الإحالات المتنوّعة.

2-1-2- إحالة بعدية:

وهي تعود على عنصر إشاريّ مذكور بعدها في النصّ ولاحق عليها، ونمثّل لها بالمثال "ب"؛ فقد بدأ الأديب القصة بمجموعة من الإحالات بضمائر (أدرك (هو)، ناقته، عودها، هو، معه، سجائره، وقف(هو) يدخّن(هو)) ثمّ قال: "لم ينتبه حمدان"، فقد تأخّر حمدان وعادت عليه الضّمائر من أوّل النّص.

وقد استمرّت الإحالة بعد ذكر حمدان لتكون إحالة قبليّة: (ناقته، له، سجائره...) وبهذا ترابط النّص عن طريق النّوعين من الإحالة.

2-2- الإحالة المقاميّة:

وهي إحالة خارج النصّ، تتمّ من خلال الإتيان بضمير للدّلالة على أمر ما غير مذكور في النصّ مطلقا، غير أنّه يمكن التعرّف عليه من سياق الموقف.
ونجد في المثال "ج" أنّ تحديد المحال إليه في الآيات القرآنيّة من ضمائر يحتاج النّظر خارج النصّ القرآنيّ نفسه، التّحديد يكون من المقام أو السياق أو المعارف السّابقة كما يأتي:
إنّه أي القرآن الكريم، وما هو أي القرآن نفسه، ولو تقول أي محمّد (ص) (على قول بعض المفسرين)، فما منكم أي الذين يعارضون.
وبناء على ما سبق ذكره حول الإحالة وأنواعها يمكن القول إنّها عنصر أساسيّ في تماسك النصّ والتحامه.

3- الاستبدال:[8](Substitution)

وهو تعويض عنصر في النصّ بعنصر آخر، مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (آل عمران/13) فقد تمّ استبدال كلمة أخرى بكلمة فئة، أي وفئة كافرة.
وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع هي:

3-1- استبدال اسميّ:

ويتمّ باستخدام عناصر لغويّة اسمية، مثل: (آخر، آخرون، نفس) ونجده في المثال السّابق، حيث تم استبدال كلمة فئة بكلمة أخرى و هي اسم.

3-2- استبدال فعلي:

ويعني باستبدال فعل مكان كلام آخر، مثل:
هل تظن أن الطالب المكافح ينال حقه؟ أظنّ أنّ كل طالب مكافح (يفعل). فاللفظة (يفعل) فعلية استبدلت بكلام كان المفروض (ينال حقّه)

3-3- استبدال قولي:

ويتمّ هذا الاستبدال باستخدام (ذلك، لا)، مثل قوله تعالى:
﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف/64)، فلفظة ذلك جاءت بدلا من الآية السابقة لها مباشرة و هي:﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ (الكهف/63). فكان هذا الاستبدال عاملا على التّماسك النصيّ بين الآيات.

---

[8] - المرجع نفسه. ص122 وما بعدها.

ونستخلص ممّا سبق ذكره حول الاستبدال أنّه وسيلة هامّة لإنشاء الرّوابط بين الجمل والمساهمة في تحقيق التّماسك النصيّ.

4- **الحذف:**[9](Ellipsis)

4-1- الحذف الاسمي:

ويكون بحذف اسم داخل تركيب اسميّ، مثل: أي قميص ستشتري؟ هذا هو الأفضل. أي هذا القميص.

4-2- الحذف الفعلي:

ويكون المحذوف عنصرا فعليا، مثل: ماذا كنت تنوي؟ السّفر الذي يمتّعنا برؤية مشاهد جديدة، والتّقدير: أنوي السّفر.

4-3- الحذف داخل شبه الجملة:

وهو حذف شبه الجملة، مثل: كم ثمن هذا القميص؟ خمسة جنيهات، والتّقدير: ثمنه خمسة جنيهات.

5- الرّبط: (Junction)

ويعني الرّبط المباشر بين جملتين أو مقطعين في النصّ، وهو أصناف، نذكر منها:

- صنف يفيد الإضافة مثل: الواو، أيضا، بالإضافة.
- صنف يفيد التعداد: أوّلا، ثانيا، أخيرا، في النهاية، بعد ذلك.
- صنف يفيد الشّرح: لأنّ، بمعنى، بعبارة أخرى.
- صنف يفيد التّوضيح: مثلا، خاصّة.
- صنف يفيد التّمثيل: على غرار، على نحو، مثلا.
- صنف يفيد الرّبط العكسيّ: لكن، غير أنّ، عكس ذلك.
- صنف يفيد السّبب: إذ، وعليه، وفعلا، فبناء على ذلك.
- صنف يفيد الاختصار: بإيجاز، باختصار، وعلى العموم.
- صنف يفيد التّعاقب الزّمني: قبل ذلك، بعد ذلك، ثمّ، إثر ذلك.[10]

ونمثّل للرّبط بخطبته صلى الله عليه و سلّم خطبها بمكة حين دعا قومه فقال: «والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثنّ كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتُجزونّ بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً، وإنها لجنة أبداً أو لنار أبداً».

---

[9] - المرجع نفسه. ص124 ومابعدها.

[10]- محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص. ص94-95.

فبتأمل النص يتبين رابط الواو في الجمع بين جمل جواب القسم الثلاث (لتبعثن، لتحاسبن، لتُجزونّ)، وهنّ معطوفات على جملة جواب القسم الأولى: (لتموتن كما تنامون)، كما جمعت الواو بين المتضادين في العمل و العقاب (بالإحسان إحسانا و بالسوء سوءا) و كذلك جاءت أو التّخييريّة لتفيد أن نهاية الإنسان إمّا الجنة وإمّا النّار تبعا لعمله، وذلك في قوله: (وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا)، وبذلك تكون الواو قد أفادت المشاركة بين المتتاليات، في حين دلّت (أو) على التّخيير، وكلاهما أدّى إلى ربط الجمل ببعضها بعضا ومن ثمّ تحقّق السّبك.[11]

ثامنا- الانسجام:

يعتمد الانسجام على المتلقي الذي يقوم بربط خيوطه لكي يصل إلى كنه النصّ، ومن بين مقوّمات الانسجام نذكر: التغريض، والعنوان، والسياق، وموضوع الخطاب والبنية الكبرى للنص وسنقوم بتطبيقها على قصيدة (عن اللاشيء) "لمحمود درويش":[12]

قصيدة "عن اللاشي":

هو اللاشيء يأخذنا إلى لا شيء
حدَّقنا إلى اللاشيء بحثاً عن معانيه ...
فجرَّدنا من اللاشيء شيءٌ يشبه اللاشيءَ
فاشتقنا إلى عبثية اللاشيء
فهو أخفّ من شيء يُشَيِّئنا...
يحبُّ العبدُ طاغيةً
لأن مَهابة اللاشيء في صنم تُؤَلِّهُهُ
ويكرهُهُ
إذا سقطت مهابته على شيء
يراهُ العبد مرئيّاً وعاديّاً
فَيَهْوَى العبدُ طاغيةً سواهُ

[11]- نادية رمضان النجار: علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق الخطابة النبوية أنموذجا، ضمن كتاب علوم اللغة، دار غريب للطباعة و النشر، مصر، مج09، عدد02، 2006. ص234-235.

[12] - حسام علي: آليات الانسجام في النص الشعري قصيدة عن اللاشيء لمحمود درويش أنموذجا، المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية، رفاد للدراسات والأبحاث، المجلد01، العدد03، 2017. ص172-184.

يطلُّ من لا شيءَ آخرَ ....
هكذا يتناسل اللاشيء من لا شيء آخرَ ...
ما هو اللاشيء هذا السيِّدُ المتجدِّدُ ,
المتعدِّدُ , المتجبرّ, المتكبرِّ, اللزجُ
المُهَرِّجُ.... ما هو اللاشيء هذا
ربُمَّا هو وعكةٌ رُوحيَّةٌ
أو طاقةٌ مكبوتةٌ
أو , ربما هو ساخرٌ متمرِّسٌ
في وصف حالتنا !

أوّلا- التّغريض:

يعرّف التغريض بأنه بؤرة النص وباقي الأجزاء محمولة عليه، فهو يسلط الضوء على فكرة محدّدة، قد تكون شخصا أو رؤية نقدية أو فلسفية، أو تعريف...إلخ. وتكون باقي أجزاء النص مشاركة في بناء هذه الفكرة وتشييدها. وللتغريض علاقة قوية بموضوع الخطاب وعنوان النص.

ويعدّ العنوان العتبة الأولى للولوج إلى النصّ، وله دور في تغريض النص، ومساعدة القارئ على ربط دلالة النص بالعنوان، ويندرج ضمن البنية الكبرى للنصّ.

ويتمّ التّغريض للنص بالطّرق الآتية:

- العنوان: فالنص حمل عنوانا كليا واحدا هو (عن اللاشيء).
- استمرار الإحالة إلى فكرة واحدة (اللاشيء) على امتداد القصيدة بضمير بارز متصل تارة ومنفصل تارة ثانية، وغائب تارة ثالثة، فجلّ |اسطر القصيدة تحيل على (اللاشيء).
- إسناد الأفعال إليه.
- محولة تقريبه على المتلقّي.

ولعلّ أهمّ ما يلفت انتباه المتلقي في طريقة التّغريض هذه هو التّركيز على مصطلح واحد هو (اللاشيء) بحضور مستمر في سياق النصّ.

والتغريض في هذا النص لا يكفي لإقامة انسجام مقبول مع النص، ذلك أنّ هذا النص اعتمد التعمية والتّمويه والرّمز، فالقصيدة ليست مباشرة ولا محدّدة الموضوع والدلالة. ولذلك يجب الاعتماد أيضا على عناصر الانسجام الأخرى.

ثانيا- السياق وخصائصه:

يذهب "براون ويول" إلى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب عند تحليله، لما للسياق من أهمية في تأويل اخطاب وحصر مجال التأويلات الممكنة ودعم التأويل المقصود.

وسنعتمد على العناصر الآتية للبحث عن سياق نص "عن اللاشيء" وإدراك انسجامه:

- الزمان والمكان.
- المرسل.
- المرسل إليه.
- الموضوع.
- الوساطة.

فالبنسبة للزمان فقد ورد في الديوان: "صفحات مختارة من يوميات كتبت بين صيف2006 وصيف2007، فالكلمة الأولى "يوميات" تعبر عن الحياة اليومية التي يعيشها الشاعر، ويحيلنا الزمان الذي كتب فيه الديوان إلى حدث كان محط انشغال الفكر الفلسطيني ألا وهو الانقسام الفلسطيني بين الأحزاب، وبالنسبة للمكان فإن محمود درويش كان متنقلا في تلك الفترة بين رام الله وعمان.

والمرسل هو الشاعر أمّا المرسل إليه المباشر فهو غير مذكور، ويمكن اعتباره مبدئيّا، بناء على ما قدمه الزمان والمكان وتصريحات الديوان، الإنسان الفلسطيني، كون النص مكتوبا بالعربية أولا، وكون جل الضمائر في القصيدة تحيل على الشاعر ورهطه الفلسطينيين من ذلك مثلا:

هو اللاشيء يأخذنا إلى لا شيء
حدَّقنا إلى اللاشيء بحثاً عن معانيه ...
فجرَّدنا من اللاشيء شيءٌ يشبه اللاشيءَ

ونستنتج من الأبيات أنّ الشاعر يتحدّث عن قوتين تتصارعان هما: اللاشيء وشيء يشبه اللاشيء والشعب بينهما، كل جبهة تحاول إحكام قبضتها عليه.

ومنه فإن:

- الزمان: 2006-2007
- المكان: رام لله- عمان.
- المرسل: محمود درويش.

- المرسل إليه المباشر: الأحزاب الفلسطينية المتصارعة.
- المرسل إليه الآخر: الشعب الفلسطيني.
- الموضوع: النقد الذاتي ونبذ الانقسام الفلسطيني وصراعه.
- الوساطة: ديوان مطبوع، قصيدة مسموعة.

ثالثا- موضوع الخطاب:

يرى "هوكيت" أنّه يمكن التمييز بين الموضوع والتعليق في جملة ما، فالمتكلّم يعلن عن موضوع عام ثمّ يقول شيئا عنه، وقد ذهب الباحثان "كينان" و"شيفلن" إلى وجوب وجود قضية مفردة لكل جزء من خطاب تمثل الخطاب الكلي. وبالعودة إلى نصّ "عن اللاشيء" يمكن تقسيمه إلى ثلاثة محاور:

المحور الأول: وصف أفعال اللاشيء وسيطرته. وتمثله الأسطر الشعرية الآتية:

هو اللاشيء يأخذنا إلى لا شيء
فجرَّدنا من اللاشيء شيءٌ يشبه اللاشيءَ
فهو أخفّ من شيء يُشَيِّئنا...

المحور الثاني: دور العبد في صناعة اللاشيء، وتمثله الأسطر الآتية:

يحبُّ العبدُ طاغيةً
لأن مَهابة اللاشيء في صنم تُؤَلِّهُهُ
ويكرهُهُ
إذا سقطت مهابته على شيء
يراهُ العبد مرئيّاً وعاديّاً
فَيَهْوَى العبدُ طاغيةً سواهُ
يطلُّ من لا شيءَ آخرَ ....
هكذا يتناسل اللاشيء من لا شيء آخرَ ...

المحور الثالث: محاولة الشاعر تقريب مفهوم اللاشيء إلى ذهن المتلقي بوضع تصورات عنه، وتمثله الأسطر الآتية:

ما هو اللاشيء هذا السيِّدُ المتجدِّدُ ,
المتعدِّدُ , المتجبرّ, المتكبرِّ, اللزجُ
المُهَرِّجُ.... ما هو اللاشيء هذا
ربُمَّا هو وعكةٌ رُوحيَّةٌ
أو طاقةٌ مكبوتةٌ

أو , ربما هو ساخرٌ متمرّسٌ
في وصف حالتنا !

وعليه، وبتفاعل المعطيات المستشفّة من المحاور السّابقة، نستخلص أن موضوع القصيدة هو: (وصف الحالة الفلسطينية في ضوء الصّراع الدّاخليّ)

رابعا- البنية الكليّة:

يذهب محمد خطابي إلى صعوبة التّفريق بين البنية الكليّة و بنية الخطاب، مالم تراع العمليات التي ينفذها المتلقي من أجل بناء البنية الكليّة، و الفرق الوحيد بين الاثنين هو أنّ معرفة البنية الكلية تتم عن طريق الاختزال والحذف، في حين أنّ موضوع الخطاب يستخلص عن طريق رصد مجموعة من الجمل التي تخصّ الموضوع كما تمّ سابقا.

ويمكن القيام بمجموعة من الإجراءات لاستخلاص البنية الكبرى لنصّ "عن اللّاشيء":

أوّلا: العنوان وهو يأطّر لمصطلح اللاّشيء.

ثانيا: مقاطع القصيدة وقد تم تقسيمها سابقا، وهي تؤطّر للمصطلح ذاته.وتمّ التّغريض للمصطلح بمجموعة من العمليات أشرنا إليها سابقا.

ثالثا: محاولة الشاعر تقريب المصطلح إلى المتلقّي وتضييق باب التّأويل أمامه، من خلال حصر المصطلح بعدد من الإحالات، ويمكن تصنيفها إلى ثلاث حزم دلالية:

الحزمة الأولى: السيّد، المتعدد، المتجدد، المتجبر، المتكبّر، اللّزج وهي تحيل إلى السيادة والغطرسة والتجدد والتمدد.

الحزمة الثانية: المهرّج السّاخر، وتحيل إلى أنّ أفعال اللاشيء لا قيمة إيجابية لها.

الحزمة الثالثة: وعكة روحيّة، طاقة مكبوتة، وتحيل إلى حالة سلبيّة وألم وطاقة في غير مكانها الصّحيح.

وتحيل كلّ هذه المعطيات إلى سيّد متعدّد (وهي الأحزاب) يريد فرض السّيطرة، مستمر في الانقسام والتمدّد، يحمل طابع القوّة والاستبداد حالته سلبيّة ويستثمر طاقة في غير موضعها، وهذا ما جعل الشّاعر ينظر إليه نظرة سخرية مرّة و نقد لاذغ، وهكذا نجد أنّ النصّ يؤسّس لبنيته الكليّة وهي: (الأحزاب الفلسطينية).

وختاما يمكن القول أنّ انسجام النصّ يظهر باستخدام إجراءات معيّنة منها التّغريض ودراسة العنوان والبحث في السّياق الذي ورد فيه النصّ، والوصول إلى موضوع الخطاب وبنيته الكبرى وغيرها من الإجراءات التي تساهم في كشف انسجام النصّ، ويكون للمتلقّي دور في البحث عن انسجام النصّ واستكشافه باستخدام هذه الآليات.

تاسعا- التّناص:

يعدّ التّناص من المقوّمات التي تتحقّق بها نصيّة النصّ. إذ يرى العديد من العلماء أنّ التّناص من السّمات الملازمة للنّصوص بمختلف أنواعها؛ أين تتداخل و تتقاطع النّصوص شكلا ومضمونا، وذهبوا إلى الجزم بأنّه لا يوجد نصّ يخلو من حضور أجزاء أو مقاطع من نصوص أخرى[13]،

وهناك إجماع بين الباحثين على أنّ: «التّناص هو نوع من التعالق و التبادل أو التداخل بين مختلف النصوص»[14]

سنتناول في هذا الدّرس نوعا من أنواع التّناص وهو التّناص الدّينيّ، متّخذين شعر مفدي زكرياء في ديوان اللّهب المقدّس أنموذجا للدّراسة.

والتّناص الدّينيّ هو تداخل وتقاطع النّصوص الدّينيّة والموروث الدّينيّ بصفة عامّة في النّصوص سواء أكانت شعريّة أم نثريّة، وسنقتصر في هذا الموضع على دراسة بعض النّماذج من التّناص القرآنيّ في شعر مفدي زكرياء ومنها قوله:[15]

واقض يا موت ما أنت قاض أنا راض، إن كان شعبي سعيدا

نلمح في هذا البيت اقتباسا من القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (طه/72).

ويقول الشّاعر أيضا متأثّرا بألفاظ القرآن الكريم و عباراته:

زعموا قتلوه...و مـــــــا صلبوه ليس في الخالدين عيسى الوحيدا

وقد شبّه الشّهيد بعيسى عليه السّلام عندما زعم قومه أنّهم صلبوه، و هو تناصّ مع قوله تعالى:

---

[13] - محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008. ص100.

[14] - المرجع نفسه. ص100.

[15] - حاكمي نورة: التناص الديني في شعر مفدي زكريا اللهب المقدس أنموذجا، مجلة مقامات للدراسات اللسانية والنقدية والأدبية، المركز الجامعي آفلو، العدد03، 2019. ص1-19.

﴿وَقَوْلِهِمْ
إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (النساء/157).

ويقول الشّاعر أيضا في موضع آخر:

هو الإثـــــمُ زلـــــــزل زلزالهـــا فزُلزلـــــــــــت الأرضُ زلزالهـــــا

وحمّلهـا النّـــــــــاسُ أثقالهـــــم فأخرجـــــت الأرضُ أثقالهـا

وقـــــــال ابنُ آدم في حُمقـــــه يُسائلهـــا ســـاخرا مـالهـــا؟

فلا تسألوا الأرض عن رجّة تُحاكـــي الجحيـم وأهوالهـــا

ألا إنّ إبليس أوحـــى لكـــم ألا إنّ ربـــــك أوحـى لهـــــا

تعاليت يـــاربُّ كم عـــابث بآيك لم يـــكُ يُصغـــي لهـــا

نلاحظ في هذه الأبيات تناصّا واضحا مع سورة الزّلزلة، يقول تعالى:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)﴾.

ويقول الشّاعر في موضع آخر:

دعـا التاريخ ليلك فاستجابـــا (نوفمبر) هل وفيت لنـا النصابـا؟

وهـــل سمع المجيب نداء شعب فكانـــت ليلـــة القـــدر الجوابـــا؟

تبـارك ليلـك الميمـــون نجمـــا وجـــل جلالـــه، هتـــك الحجابـتا

زكـت وثباته عن ألـف شهـــر قضاها الشعب ، يلتحق السرابـا

وتضمّنت هذه الأبيات تناصا مع سورة القدر، يقول تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

ومن التّناص قول مفدي زكرياء:

وهـــزت مريـــــم العـذراء نخيـــــل فـــــأسقطت الفلوذج و الرضابـــــــا
عراجـــــــن ، كـــالمجرة مشرقـــات عسالجهن، انسكبن بها انسكابا

وهو تناصّ مع النصّ القرآني الآتي: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ (مريم/25).

فمن الملاحظ أنّ مفدي زكرياء متأثّر بالنّص القرآنيّ و بإعجازه اللّغويّ الأمر الذي جعله يستخدم تعابيره و كلماته في شعره و هذا ما يسمّى بالتّناصّ.